الفصل الثانى

فكرة الخلود حديثًا
ودخول الروح مجال البحث العلمى

فى مدينة روشستر بولاية نيويورك وفى النصف الأول من عام ١٨٤٨ علت أصوات كثيرة تضج بالشكوى من سكان حى هايدزفيل الذين ملأهم الرعب لحدوث بعض الظواهر الخارقة للطبيعة، كحدوث طرقات وسماع أصوات غريبة ليس لها مصادر مادية.

وإزاء تأكد السلطات المحلية بصحة هذه الظواهر وعجزهم عن بيان مصدرها أو تفسير ذلك. فقد قام المسئولون بتشكيل لجنة تضم مجموعة من العلماء لبحث هذه الظواهر ووضع تقرير عنها.

وبعد دراسة هذه الظاهر دراسة متأنية انتهت اللجنة إلى نسبة هذه الظواهر إلى كائنات غير منظورة، ورجحت أن تكون هذه الكائنات أرواح بعض الموتى.

ونظراً لعدم اقتناع المسئولين الاقتناع الكافى ومعارضة الكثيرين لصحة الرأى الذى انتهت إليه هذه اللجنة فقد قاموا بتشكيل لجنة ثانية ثم ثالثة، وانتهى الرأى فى جميعها إلى نسبة هذه الظواهر إلى العالم غير المنظور الذى يعيش فيه موتانا من البشر.

ولقد كان من نتائج هذه التقارير أن تدخل علماء آخرون من المعارضين، بغرض إثبات خطأ هذه اللجان، وقاموا بأنفسهم ببحث هذه الظواهر، ولكنهم تحققوا بدورهم من صحة ما جاء بتقرير هذه اللجان، وأثبتوا ذلك فى مؤلفات نشرت لهم فى هذا الخصوص ومن أهمهم :

- **العالم روبرت هير** Robert Hare وكان أستاذاً بجامعة بنسلفانيا. وله مؤلف عن تحقيق تجريبى فى الظواهر الروحية .

- **العالم جون وورث إدموندز** John Worth Edmonds الذى عين بعد ذلك رئيساً للمحكمة العليا بنيويورك وكتب تقريراً فى جريدة نيويورك كوريير متضمناً أسماء العلماء العشر الذين استعان بهم للتحقيق فى موضوع الظواهر الروحية فى هايدزفيل، كما أصدر مؤلفه فى **الروحية** Spiritualism **بالاشتراك مع العالم ناثانيل تالمادج** Nazhaniel Talmadge.

– **العـالم جيمس مابس** James Mapes عضو المجمع العلمى الأمريكى، ونشـر نتيجة بحثه فى هذا الموضوع عن طريق المجمع العلمى.

وقـد أدت هـذه التقارير والمؤلفات بطبيعة الحال إلى تطاير الخبر إلى كثير من الدول فى العالم وخاصة الأوروبية منها، **وكان الاهتمام بهذه الظواهر كبيراً جداً فى إنجلترا إلى حد أن أصبحت الجلسـات الروحية هى الشغل الشاغل للعائلات البريطانية**، وتقدم كثيرون إلى «جمعية الفكر المنطقى» بلندن لبحث هذا الموضوع. وعلى أثر ذلك شكلت الجمعية لجنة سـنة ١٨٦٩ مـن أربعة وثلاثين عضواً بغرض إثبات أن الظواهـر الروحية مجرد بدعة من الخيال والقضاء عليها نهائياً.

وكانت اللجنة مشكلة من مجموعة من كبار العلماء والذين لا يرقى الشك بحال إلى صحة آرائهم **ومن أهم هؤلاء العلماء**:

–**سير الفريد والاس** Alfred Wallace عضو الجمعية الملكية لتقدم العلوم بلندن وهو من علماء البيولوجى.

–**سير جون لابوك** Lubbock عضو الجمعية الملكية لتقدم العلوم بلندن ٠

–**شاليز برالون** Charles Bralaugh وهو عالم فى العلوم العقلية ٠

–**سـير وليام كروكس** William Krooks الذى كان عضو الجمعية الملكية لتقدم العلوم ثم أصبح فيما بعد رئيساً لها.

وعلى الرغم من أنه كان من المقرر أن تنهى اللجنة أعمالها خلال بضعة أسابيع إلا أنها استمرت فى عملها ثمانية عشر شهراً تقريباً، قامت خلالها بالعديد من البحوث والتجارب مسـتعينة بوسـطاء غير محترفين وآخذة فـى اعتبارها مراعاة الدقـة التامة، واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لمنع أى خطأ أو تدليس.

وفى عام ١٨٧١ قدمت اللجنة تقريراً فى خمسـمائة وعشرين صفحة، انتهت فيه إلى أن أعضاء اللجنة الذين كانوا عند بدء تشكيلها ينفون إمكان حدوث ظواهر غير طبيعية، تحققوا بأنفسهم من حدوث ظواهر عديدة غير مألوفة، كرؤية أوجه أو أجزاء من أجسام أشـخاص غير أحياء، وأيضاً سماع أصوات صادرة من كائنات غير منظورة، وكذا إحضار مجلوبـات من خـارج إلى داخل الغرفة المغلقـة التى تتم فيها التجربـة. وبالإضافة إلى ذلك تضمن التقرير حدوث كتابة مباشـرة، وكذا ارتفاع بعض الأجسـام الصلبة أو قطع الأثاث بغير تدخل أحد من الحاضرين، وأيضاً عبارات تتعلق بإمكانية العلاج الروحى،

إلى غير ذلك.. كما انتهى التقرير إلى عدم قدرة اللجنة على إبداء تبرير علمى أو فلسفى لهذه الظواهر وتوصيتها بضرورة الاهتمام ببذل المزيد من الدراسات والبحوث الحذرة فى هذا الموضوع الهام.

ولقد كان لهذا التقرير أثر خطير وكبير جداً فى تكالب كثير من العلماء والباحثين على إجراء التجارب والبحوث ووضعوا خبراتهم وأبحاثهم فى الكثير من المؤلفات التى أصدروها فى هذا الخصوص – ولم يقف الأمر عند ذلك، **بل أنشئت الجمعيات الروحية فى كثير من الدول، ولا تزال هذه الجمعيات تصدر مجلات علمية تتضمن آخر ما توصل إليه العلم فى هذا المجال.**

ولقد كان لذلك بطبيعة الحال أصداؤه فى مصر – فقد قام بعض العلماء بدراسة هذه الظاهر الروحية دراسة متأنية على رغم المعارضة الشديدة لذلك من بعض المثقفين بزعم مخالفتها للدين، أو بوضعها نوعاً من التوهم والخيال يأباه المنطق والعقل ن وقد أعان هؤلاء العلماء على مواجهة هذا التيار المعارض، وجود جذور عميقة لهذا الموضوع فى الأمة العربية غرسها عدد من علمائها وفقهائها الأوائل وتشهد بها مؤلفاتهم.. ومنهم **الأئمة الغزالى وابن القيم وابن سينا وابن رشد وإبراهيم بن حسن البقاعى**.. وغيرهم.. وتدل جميع هذه المؤلفات على صحة الظواهر الروحية وأن البحث فى أثر الروح من العلوم التى يجب أن تنال عناية العلماء.

ولقد أكد هذه الحقيقة كذلك علماؤنا الحديثون وحملوا لواء البحث فى العلوم الروحية وكانوا من الرواد فى مجال البحث الروحى فى العصر الحديث وهم:

– **الأستاذ المرحوم / أحمد فهمى أبو الخير** الذى أسس جمعية الأهرام الروحية.

– **الأستاذ الدكتور المرحوم / رؤوف عبيد** أستاذ القانون الجنائى ووكيل كلية الحقوق عين شمس الأسبق.

– **الأستاذ الدكتور المرحوم / على عبد الجليل راضى** الذى كان أستاذ الفيزياء بكلية العلوم بجامعة عين شمس ورئيس جمعية الأهرام الروحية.

– **الأستاذ الدكتور المرحوم / مصطفى الديوانى** الذى كان أستاذاً بكلية الطب بجامعة القاهرة ووكيل جمعية الأهرام الروحية.

– **العالم الشيخ / طنطاوى جوهرى مؤلف كتاب «الأرواح» الذى نشر عام ١٩٢٠ وأثار ضجة علمية وعالمية كبيرة.. وكان له فضل كبير فى حث علماء مصر ومفكريها على**

ضـرورة الاهتمام بالعلوم الروحية التى لم يعد هناك شـك فى صحتها وعدم معارضتها للأديان السماوية، وذلك بقوله فى كتابه السابق الإشارة إليه (فهل نقف أمام مثل هذه الحـوادث صامتين؟ إنه لعيب فاضح وخطأ واضح وشـين بين، نحن أحق بهذا العلم من الغربيين. إن الأمر لجلل يعوزه كتب تؤلف ومجامع تحشـد وعلماء تنقد. أنا لست فى كتابى هذا أثبت العلم الروحى فحسب، فلقد سبقنى إليه من نشروا الفكر وأذاعوا أمره .. ولكنى أجد ذلك يطابق ما نص عليه الغزالى وغيره بطريق الكشف).

ولقد كانت الآمال معقودة على أن تؤدى الجهود الكبيرة التى بذلها هؤلاء العلماء الرواد فى مصر إلى نشـر الوعى الروحى، وإنشـاء العديد من المراكز البحثية لتباشـر مهامها فى مختلف مدن الجمهورية غير أنه للأسـف الشـديد تراجعت الأمور كثـيراً بعد وفاة أولئك الـرواد إلى حـد أن ألغيت جمعية الأهـرام الروحية لعدم اهتمام القائمين عليها باسـتيفاء المتطلبات القانونية لاستمرارها وعدنا من جديد إلى نقطة البدء، مما أدى إلى **اتساع الفجوة بيننا وبين الدول الغربية بما يقدر بقرن ونصف من الزمان.**

كمـا أنه غير خاف علـى أى باحث عربى أن جميع المؤلفـات باللغة العربية فى هذا الموضـوع منـذ كتاب الروح لابن القيم وحتى وقتنا هـذا، لا يتوفر لها وعلى قلتها الجانب العلمى التجريبى والمشـاهدة حيث تتميز بذلك الدراسـات والأبحاث الروحية الحديثة فى المجتمعات الغربية وإن كانت كتبنا تحوى صفحات عن الجلسـات الروحية التى أجريت بالخارج وأسماء الذين أشرفوا عليها والوسطاء الذين باشروها هناك والنتائج التى تم التوصل إليها وكلها تؤكد صحة الاتصال بأرواح الموتى والتحدث معهم، وبعضها مشفوع بصور هؤلاء الموتى حال تجسدها.

غير إننى أعتقد أن ذلك قد لا يروى ظمأ القارئ العربى لسببين:

أولهما: أنه لا يعرف عن العلماء التى أجروا الأبحاث والتجارب سوى أسمائهم وكلهم من الأجانب أما مكانتهم العلمية أو مؤلفاتهم وآرائهم وما اسـتندوا إليه من نظريات علمية فلا يدرى عن ذلك شيئاً.

ثانيهمـا: وجود بعض المعتقـدات الدينية الخاطئة التى تؤدى إلى التشـدد مع العلوم الروحية تؤدى إلى تكذيب ورفض كل ما يعرض عليه ما لم يكن هناك أدلة وبراهين دينية وعلمية قاطعة تساند ما يعرض عليه.

ولا شـك فى أن الاسـتدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من شأنه أن يولد لدى الناس – حتى غير المسـلم منهم – المزيد من الاقتناع ويعد البديل الأوحد للجانب

التجريبـــى الذى تفتقر إليه فى العـــالم العربى فى مجال الدراســـات الروحية البحتة – خاصة وأن الإســـلام قد عنى بهذا الموضوع عناية كبيرة ووردت فى شأنه آيات كثيرة فى كتاب الله فضلاً عن الأحاديث النبوية الشريفة.

وجدير بالذكر هنا فى هذا الخصوص أنه لو كان علماء الغرب الروحيون على دراية بالإســـلام وما أتى به القرآن الكريم فى هذا الخصوص وأفصحت عنه الســـنة الشـــريفة لطفروا بالعلوم الروحية طفرات تضاعف عشرات المرات ما هى عليه الآن.

وفى كتابه «أنت تحيا بعد الموت» «تحت عنوان الإنسان نغمة فى سلم موسيقى» يقول العلامة المصرى الأستاذ الدكتور المرحوم/ على عبد الجليل راضى الذى كان أستاذا للفيزياء بجامعة عين شمس ورئيساً لجمعة الأهرام الروحية:

(كل ما نســمع عنه من أشــعة أو أمواج ابتداء من أمواج اللاســلكى إلى أمواج ما وراء الحمــراء إلى أمواج الضوء أى الطيف المنظور ثم الأمواج فوق البنفســجية ثم أمواج أكس إلى أمواج الخلايا الحية إلى أمواج جاما إلى الأشــعة الكونية.. الخ).. كل هذه يجمعها جدول أو ســلم واحد تأخــذ درجاته أو ذبذباته فى الارتفاع بالتــدرج. وتبدأ من ٦٠٠٠ ذبذبة فى الثانية وتنتهى إلى عدد ٤ وأمامه واحد وعشرون صفراً من الذبذبات فى الثانية.

وما يحســه الإنسان ببصره هو الطيف المنظور الذى يتراوح بين ٣٧٥ مليار، ٧٥٠ مليار ذبذبة فى الثانية. وبعملية حسابية بسيطة يمكننا استنتاج أن ما تراه من جدول هذه الأمواج التى يعج بها الكون هو بنســبة ١ إلى ١٠ مليون مما يدل على مدى ضيق المجال الحســى لدى الإنسان. وعجزه عن رؤية بقية الأمواج سواء تحت أو فوق الطيف المنظور.

ويمكننــا أن نتصور أن أعيننا قد خلقت للإحســاس بهذا المجال الضيق فى حين عين القط أو الكلب مثلاً يمكنها رؤية مجال أوســع مــن مجالنا. ويمكنها أن تتصور أيضاً أعين على نفس القياس يمكن أن تصبح لنا عين ترى مجالاً أوســع. **وهذا ما يقول عنه العلماء الروحيون حينما يتكلمون عن عين الجســم الأثيرى (النجمى) التى ســتبدأ عملها حالما تحدث الوفاة.** ولو تذكرنا أن الإنســان – بناء على قول أهل اليوجا – له ســبعة أجســام متدرجــة فى الذبذبة – فمعنى هذا أنه كلما لبس الإنســان هذه الأجســام بالتدريج واحداً بعــد واحد ارتفعت عنده كفاءة تلك العين وليســت هى فقط بــل بالتالى ارتفعت عنده كل الإحساسات الأخرى سواء كانت معلومة لدينا أو سنعلمها فيما بعد.

وقد بدأ العلماء يدخلون النظريات العلمية خاصة الفيزياء فى مجال البحث عما سيحدث بعد خط الموت.. فمثلاً يقول الدكتور «وليم تيلد» من جامعة ســتانفورد الأمريكية فى كتابه

«الجسم البشرى» أنه يقترح نموذجاً أو سلماً ذبذبياً ليبين الحيوات أو الحالات السبع التى سيمر بها الإنسان. ويبين بالرسم البيانى أشكالها محاولاً تقليد الرسم التقليدى لإيجاد العلاقة بين التردد أو عدد الذبذبات فى الثانية وبين شدة الذبذبة. إذ يؤخذ الأول فى الرسم على المحور الأفقى والثانى على المحور الرأسى.. **ثم تكلم عن إمكانية تداخل عنده الحالات السبع واحدة فى الأخرى. وذلك عند استعمال العقل الذى يمكنه بالفكر تنظيم الذرات والجزئيات التى تكون مادة المستوى الذى يريد التأثير فيه. فمثلاً يمكنه وهو فى الجسم الأثيرى أن يؤثر فى الجسم الفيزيقى والعكس بالعكس. كما قال أن وجود الإنسان فى الحالات العلوية لا يتقيد بالمكان أو الزمان وهناك يكون ذلك الوجود هو المعبر حقاً عن الإنسان الأصلى).**

ويقول الدكتور المرحوم/ على راضى أيضاً بتعليقاً على ما قاله العالم الدكتور وليم تيلد:

(ويمكننا أن نمثل هذه الفكرة **بافتراض سلم ذبذبى لكل شخص منا على نمط السلم الموسيقى.** إذ المعروف أن هناك نغمة أساسية وجواب النغمة «أى ضعفها فى التردد» وهكذا. فالشخص محمد مثلاً ولتكن ذبذبته فرضاً فى العالم الفيزيقى ٥٠٠٠ فيمكن أن يكون له وجود أثيرى فى ذبذبته ١٠٠٠٠ وجود ثالث فى ذبذبته ١٥٠٠٠ وهكذا سيكون الوجود السابع ٣٥٠٠٠ ذبذبة فى الثانية. وعلى نفس المنوال يبدأ إبراهيم مثلاً من ٦٠٠٠ وينتهى إلى ٤٢٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية وهكذا.. ويعرف الموسيقيون أن دقة معينة على البيانو مثلاً عند سماعها لا تكون منفردة بل قد يصحبها نغماتها التوفيقية الأعلى منها أى الأجوبة والتى قد **لا يستطيع** الأذن سماعها. فعلى نفس النمط نحن نرى الإنسان فى جسده الفيزيقى ولا نرى بقية الأجسام السبعة ولا أماكن وجوده فى مستقبله اللانهائى).